

الغيرة والحسد

مقدمة

القديس كبريانوس هو أحد آباء الكنيسة الذين كتبوا باللاتينية، لذلك يقال عنه أنه من آباء الكنيسة اللاتينية. وقد ولد في مستهل القرن الثالث الميلادي وعلى ما يبدو بين أعوام 200 - 210 م في مدينة قرطاجنة بشمال أفريقيا. وكان ينتمي لعائلة غنية حيث تربي ونشأ وتثقف في قرطاجنة نفسها. وقد اشتهر بالخطابة والفصاحة. وكان يقنني منزلاً فخماً مليئاً بالحدائق كما ذكر جيروم في كتاب ((مشاهير الرجال)) . وبسبب الانحطاط في الآداب والأخلاقيات العامة في المجتمع الذي عاش فيه وكذلك الفساد الذي كان يسود عاصمة المقاطعة الرومانية، رفض هذا الوسط وبحث عن حياة أفضل ومثل أخلاقي أرقى، لذلك هيأت له العناية الإلهية بان يتقابل مع كاهن تقي هو ((كايسيلوس)) الذي أرشده الى قراءة الكتاب المقدس، ثم تحول الى المسيحية وأعطى كل ثروته للفقراء وكرّس نفسه لخدمة الكنيسة والشعب في قرطاجنة. ونظراً لخدمته المتفانية حباً في الملك المسيح، رأى أسقف قرطاجنة أن يرسمه كاهناً، وعندما خلا كرسي قرطاجنة بنيحة أسقفها، أجمع الشعب بأن يتسلم كبريانوس عصا الرعاية فصار أسقفاً على كرسي قرطاجنة عام 249 م.

ما كاد كبريانوس يجلس على كرسي أسقفية قرطاجنة حتى أثار الإمبراطور داكوس اضطهاداً شديداً على الكنيسة، كان في غاية العنف والقسوة حتى شمل كل الإمبراطورية. وبسبب تمسك كثير من المسيحيين بالإيمان وشهادتهم القوية للمسيح يسوع، استشهد عدد كبير منهم، أما الأسقف كبريانوس فرأى أن يتوارى عن الأبصار في مكان آمن وظل على اتصال بالمؤمنين يشجعهم ويقويهم ليظلوا ثابتين على الإيمان أثناء فترة الاضطهاد.

عندما انتهى الاضطهاد في عام 251 م بمقتل الإمبراطور داكوس بدأ الهدوء والسلام يسود كنيسة شمال أفريقيا وعاد كبريانوس الى مقر كرسيه في قرطاجنة ودعا الى مجمع من أساقفة أفريقيا في نفس العام لمناقشة موضوع الساقطين من المسيحيين الذين ارتدوا عن الإيمان أثناء فترة الاضطهاد، حيث قرر الأساقفة المجتمعون داخل المرتدين في دور التوبة وعدم قبول أحد منهم في داخل الكنيسة إلا اذا كان مشرفاً على الموت.

ثم تلى هذه الفترة من الهدوء سلسلة الاضطهاد التي بدأها الإمبراطور فالريان على المؤمنين وملاحقة الكهنة والأساقفة. وتم نفي كبريانوس في عام 257 م بعيداً عن قرطاجنة، لكنه عاد الى كرسيه من المنفى وأخذ يعد نفسه للاستشهاد. وفي عام 358 م قطعت رأسه بالقرب من مدينة قرطاجنة، ونال إكليل الشهادة وأصبح أول أسقف شهيد في منطقة شمال أفريقيا.

ومن أشهر الأعمال الكتابية التي تركها لنا الأسقف كبريانوس والتي نشرها ((بونتيوس)) هي الرسائل التي بلغ عددها 81 رسالة، بالإضافة الى المقالات المتنوعة التي تدور حول المسائل العملية لحياة الكنيسة، ومن أشهرها تلك التي كتبها الى صديقه ((دوناتوس)) يشرح له فيها الدوافع التي دفعته الى التحول من الوثنية الى المسيحية، مصوراً العالم الوثني بمساوئه ومفاسده. كما كتب كبريانوس مقالة شهيرة عن ((وحدة الكنيسة)).

أما بالنسبة للمقالة التي بين أيدينا والتي تحمل عنوان ((الغيرة والحسد)) فعلى ما يُعتقد أنها كتبت في أواخر عام 256 م أو بدايات عام 257 م ، أي قبل اشتشاده بحوالي عام واحد. وهي تقع في مجموعة الأعمال التي صنفها الشماس ((بونتيوس)) وتحمل اسم ((الصبر الجميل)).

و قد كتب هذا المقال أثناء فترة مناقشة النزاع حول معمودية المرتدين حيث انتهز كبريانوس الفرصة ليرثي على الغيرة والحسد لخصومه. وقد أشار أولاً الى أن الغيرة والحسد هما خطية خطيرة مصدرها الشيطان، وتكون مخفية داخل أعماق النفس المظلمة. ثم استعرض بعض الأحداث من العهد القديم

ذكر فيها نتائج الغيرة والحسد التي تملكت على قلوب غير الحكماء مثل :
قايين عندما حسد أخاه هابيل وقتله، عداء عيسو لأخيه يعقوب، حقد إخوة
يوسف البريء على أخيهم، وكيف ثار الملك شاول على داود عندما انتصر
على جليات ودمار شعب اليهود لعدم إيمانهم بالمسيح.

ان الغيرة والحسد بذار سامة داخل الكنيسة وعندما تتأصل فإنها تثمر
الكراهية والشقاكات والخصومات، لذلك حثّ السيد المسيح على عدم كره
الإنسان لأخيه الإنسان. وفي نهاية الحديث ينصح كبريانوس بمحبة الأعداء
متمثلين بالسيد المسيح، مقتعاً أولئك الساقطين في خطية الغيرة والحسد أن
يعدلوا عنها، مُظهراً لهم المكافآت الروحية التي يحظى بها أولئك الذين يحبون
بعضهم البعض وتربطهم المحبة والروابط الأخوية.

الغيرة والحسد

للقديس كبريانوس أسقف قرطاجنة

ليست خطيئة بسيطة

1 أيها الأخوة الأحباء قد يبدو في نظر البعض أن الغيرة بسبب الأشياء
الحسنة التي نراها في الغير، وكذلك حسد من هم أفضل منا، خطأ هيّن
وبسيط. وعندما نرى أنه هيّن وبسيط فإننا لا نخشى منه وعندما لا نخشى منه
فإننا نستهيّن به، وعندما نستهيّن به يصبح من الصعب علينا أن نتجنبه،
وبالتالي يتحول الى وباء خفي ومظلم لتدمير أنفسنا. وهذا الأمر ان لم يلاحظه
الشخص الحكيم ليتجنبه، سيتسلل خفية ليصيب القلوب غير الحذرة.

علاوة على ذلك فقد أوصانا الرب أن نكون متعلقين وأن نراقب أنفسنا بحذر شديد (راجع متى 24 : 42)، لأن عدونا نفسه دائماً في حالة ترقب وانتظار لأنه ان زحف الى قلوبنا فإنه يشعل النيران من شرر صغير، ويصنع مشاكل كبيرة من أشياء صغيرة. وبعد أن يسيطر على الشخص غير الحكيم فإنه يبدأ في تهدئته وراحته بنسيم رطب ورياح هادئة، بعد أن يكون قد أثار داخله عواصف وزوابع الغضب التي تفقده الإيمان وتحطم سفينة الحياة.

لذلك أيها الأخوة الأحباء يجب علينا أن نكون متيقظين ونجاهد بكل قوتنا لنرد بصبر وترقب العدو الثائر علينا والذي يصوب بكل ضراوة سهامه ضد كل جزء من أجسامنا ليتركنا جرحى كما سبق وحدث الرسول بطرس في رسالته قائلاً : ((اصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتصقاً من يبتلعه)) (1 بط 5 : 8).

كيف يحاربنا العدو

2 فالعدو يحاصر كل منا بمفرده، وهو كأبي عدو يحاصر أسراه، يفحص الأسوار باحثاً إن كان يوجد فيها موضع أقل ثباتاً وحصانة حتى يمكنه الاقتراب والاختراق الى الداخل. لذلك فإنه يعرض على العيون المغريات والمتع السهلة حتى إنه من خلال النظر يُفسد العفة، وهو يُغري الأذان بنغمات شجية لكيما بسماعها تضعف روح الجهاد المسيحي، وهو يستثير اللسان لكي يخطئ عندما توجه إليه إهانة ما، ويُحرض الأيدي على وحشية القتل عندما يعتدي أحد عليها، ولكي يصنع من الإنسان شخصاً محتالاً فإنه يغريه بمكاسب غير شريفة، وحتى يسيطر على النفس بالمال يعرض عليها أرباحاً ضارة، ويعدها بأمجاد أرضية ليفقدها السماوية، ويُظهر لها أشياء كاذبة ليسلب منها الحقيقة. وأخيراً عندما لا يستطيع العدو أن يخدع ويحتال، فإنه يعلن بوضوح وبجسارة حرباً عنيفة بلا كلل على خدام الله محاولاً غلبتهم على الدوام، لأنه دائماً ما يكون عدوانياً، فهو مخادع وقت السلام وعنيف وقت الاضطهاد.

3 لذلك أيها الأخوة الأحباء يجب أن يقف العقل مستعداً ومسلحاً ضد كل خطط إبليس الخادعة أو تهديداته الواضحة، ويكون دائماً مستعداً للرد عليه كما أن العدو دائماً مستعداً للهجوم. وبما أن سهامه التي تتسلل إلينا خفية تكون متكررة وهو يقذفنا بها بشكل سري وخفي إلى حد أننا قد لا نلاحظها، لذلك فإن مثل هذه الهجمات تكون أكثر فاعلية في إمكانية إصابتنا. فدعونا إذاً ننتبه لنفهم تلك الهجمات لنردّها.

الغيرة من أخطر الحروب

ومن بين هذه الحروب هناك خطية ((الغيرة والحسد))، واذ ما تعمق أي منا في ذلك الأمر سيكتشف أنه لا شيء يجب على الإنسان تجنبه ولا شيء يستحق الحذر منه أكثر من وقوع أحدنا في الحسد والحقد، عندما يقع أحدنا في الفخاخ الخفية التي للعدو الخادع، حيث بالجسد يتحول الأخ إلى كراهية أخيه، فلا يدرك أنه يقتل نفسه بالسيف الذي يصنعه هو بنفسه وليس أحداً غيره. وحتى نستطيع أن نفهم ذلك الأمر فهماً كاملاً وأن ندركه بأكثر وضوح دعونا نرجع إلى معرفة مصدره وأصله، دعونا نرى من أين تبدأ الغيرة؟... أي متى وكيف تبدأ؟ ليصبح من السهل علينا تجنب هذا الشر الخبيث اذا ما عرفنا حجمه وأصله.

أصل الغيرة

4 لهذا السبب فإنه منذ بدء العالم وقع الشيطان نفسه في الهلاك ودمر الآخرين أيضاً. ذلك الذي كان في مجده الملائكي وكان مقبولاً ومحبوياً لدى الله. فبعدما رأى الإنسان مخلوقاً على صورة الله ومثاله، سقط هو بالتمام في الغيرة بحسده الخبيث. فقبل أن يسقط أحداً غيره في خطية الحسد كان قد سقط هو بنفسه في الغيرة. لقد كان هو نفسه أسيراً قبل أن يأسر أحداً، ودمر نفسه قبل أن يُدمر آخرين. وان كان بمقتضى حسده حرم الإنسان من نعمة الخلود التي أعطيت له، فهو نفسه كان قد فقد ما كان عليه من قبل. أيها الأحباء فما

هي جسامة الشر الذي بمقتضاه سقط الملاك ومن خلاله خدع وتغير ذاك السامي في العلو والمجد، وبه انخدع ذلك المخادع.

وهكذا من ذلك الوقت يتفشى الحسد على الأرض، حيث عندما يسقط أحد ما أي الإنسان في الحسد ويتبع سيد الهلاك منقاداً، فإنه يُقلد الشيطان كما هو مكتوب " انه بحسد إبليس دخل الموت إلى العالم" (حك 2 : 24) هكذا يقلده أولئك الذين إلى جانبه.

أمثلة على الغيرة من الكتاب المقدس

5. من ثم بدأت في النهاية بوادى الكراهية بين الأخوة الأوائل (قايين وهابيل). هكذا جاء القتل البغيض للأخوة عندما غار قايين الظالم من هابيل البار، عندما اضطهد الصالح من الشرير نتيجة للغيرة والحسد. فكم كانت نيران الغيرة قوية لتتميم تلك الجريمة، إلى حد أن قايين لم يضع المحبة الأخوية أو جسامة الخطية أو حتى مخافة الله وجزاء الخطية في حسابه. فذلك الذي كان أول من ظهر برّه (هابيل) ظلّم بجور.. لقد قاسى من الكراهية وهو الذي لم يعرف الكراهية، لقد دُبح بطريقة وحشية ذلك الذي لم يقاوم وهو يُقتل.

لقد تسببت الغيرة أيضاً في عدااء عيسو لأخيه يعقوب، فبسبب حصول يعقوب على بركة أبيه اشتعلت الغيرة في نفس عيسو وتحول إلى كراهية ثم إلى الاضطهاد. وكان الحسد أيضاً هو سبب بيع يوسف بيد إخواته، فبعد أن عرض عليهم في براءة وبساطة كأخ لأخواته، المجد العظيم الذي ظهر له في رؤياه اشتعلت عقولهم الحاقدة بالحسد نحوه.

وماذا تُرى قد أثار شاول الملك أيضاً لكراهية داود – ذلك البريء الرحيم الصبور الوديع – إلا دافع الغيرة؟ إذ حاول أن يقتله مراراً باضطهادات متكررة. لأنه عندما قتل جليات وذبح هذا العدو الجبار بمعونة ونعمة الله، انطلق الشعب بإعجاب واستحسان في مدح داود، فتولدت داخل شاول نيران الكراهية والاضطهاد من خلال الحسد.

ولئلا يطول الحديث بذكر أسماء، دعونا نأخذ في اعتبارنا دمار شعب قد هلك مرة وإلى الأبد. ألم يهلك اليهود على هذا النحو؟ إذ قد فضلوا أن يحسدوا المسيح على أن يؤمنوا به.. واذ استخفوا بالأعمال العظيمة التي قام بها خدعوا بغيرة عمياء ولم يستطيعوا أن يفتحوا أعين قلوبهم ليروا أعمال المسيح الالهية.

6 الآن اذ نرى هذه الأمور، أيها الأخوة الأحباء، لنُحصِّن قلوبنا التي قد تكرست لله بشجاعة ويقظة رافضين مثل هذا الشر العظيم المدمر، وليكن موت الآخرين (أي الشخصيات التي ذكرناها سلفاً) مفيداً لخلصنا، ولتقدّم عقوبة الأحقق منفعة للمحترسين.

نتائج الغيرة

ولكن مع ذلك فلا يوجد ما يجعل أحداً يظن أن مثل هذه الخطية يمكن أن تأخذ شكلاً واحداً فقط أو أن تنحصر في حدود ضيقة أو تقتصر على نطاق محدود. فدمار الغيرة متشعب، نامٍ ومنتشر على نطاق واسع. إنها مصدر كل الشرور، منبع الكوارث، بذرة الخطية، أصل التعديات، منها تنشأ الكراهية ومنها تخرج العداوة. فالغيرة تلهب الجشع عندما لا يكون الإنسان مكتفياً بما عنده، عند رؤيته لمن هو أغنى منه، وهي تدفع إلى اشتها الكرامة عندما يرى شخص ما شخصاً آخر أكثر منه ارتفاعاً في الكرامة.

فعندما تُعمي الغيرة حواسنا وتخضع بواطن العقل لسيطرتها، حينئذ لا يعمل لمخافة الله اعتبار وتهمل تعاليم المسيح ولا يكثرث بيوم الدينونة. فالكبرياء ينفخ، والقسوة تجلب المرارة، وعدم الإيمان يراوغ الفكر مشككاً إياه، وعدم الاحتمال يثير النفس، الخلاف في الرأي يسبب الحنق، والغضب يزداد اشتغالاً فلا يستطيع من صار عبداً لسلطان غيره، أن يُحجم نفسه أو يقودها. وهكذا تتحطم رابطة سلام الرب، وتنتهك المحبة الأخوية ويفسد الحق وتنقسم الوحدة وينغمس الشخص في الهرطقات والانشقاقات، خاصة عندما يستخف بالكهنة أو يحسد الأساقفة أو عندما يشتكى من عدم سيامته هو نفسه كاهناً أو

أسقفاً بالأولى أو عندما لا يحتمل الآخر الذي قد صار أعلى منه في الرتبة محتقراً إياه.

هكذا يتمرد الشخص المتكبر بسبب الغيرة، ويصير ضحية للحسد، فيثور بغضب على عدوه مريداً إيذائه، وهو لا يثور ضد الشخص نفسه، بل ضد الكرامة التي صارت لهذا الشخص.

تأثير الغيرة على النفس

7 هكذا حقاً تكون الدودة التي تأكل النفس، الوباء الذي في أفكار الإنسان، كم هي ضخامة صدأ القلب عندما يُغار من فضيلة إنسان آخر أو من سعادته، أي أن يكره فيه مواهبه أو البركات الإلهية، أن يعتبر خير الآخر كشر لنفسه، أن يتعذب بسبب رياء الأشخاص المشهورين، أن يجعل من مجرد الآخرين عقوبة لنفسه، أن يضع جلاداً ليعذب به قلبه، أن يأتي بعذابات لأفكاره ومشاعره ليمزق بها أعماقه الداخلية، أن يضرب أعماق القلب ببرائث البغضة والكراهية. مثل هؤلاء الناس لا يهنأ لهم طعام ولا يلذ لهم شراب، بل هناك دائماً تنهدات وأحزان وآلام، وبما أن الحاسد لا يعلن أبداً عن غيرته فإن قلبه محاصر وممزق ليلاً ونهاراً على الدوام.

فالشرور الأخرى لها حد وأي خطايا يفعلها الإنسان لها نهاية. ففي حالة الزنا تتوقف الجريمة عندما تتم الشهوة باقتراف الخطية. وفي حالة القتل تتوقف الجريمة عندما يُرتكب القتل. وبامتلاك الغنيمة ينتهي جشع السارق. وإتمام الخدعة يضع حداً للمخادع، أما الغيرة فليس لها حد، إنها شر دائم وخطية لا تنتهي، فكلما نجح المحسود نجاحاً أكبر كلما يلتهب الحاسد بالأكثر من نيران الحسد.

8 من هنا تكون تعبيرات الوجه المتوعدة، النظرة الشريرة، وشحوب الوجه وارتعاش الشفتين وصرير الأسنان والكلمات الماجنة والإهانات التي بلا لجام واليد المتأهبة لوحشية القتل، وحتى ان كانت الأيدي في الوقت الحالي بلا سيف فهي مسلحة بالكراهية النابعة من عقل متقد بالغضب ولذلك يقول الروح

القدس في المزمور ((لا تغر من الذي ينجح في طريقه من الرجل المجري
مكايد)) (مز 37 : 7) وأيضاً ((الشرير يتفكر ضد الصديق ويحرق عليه
أسنانه، الرب يضحك به لأنه رأى أن يومه آت)) (مز 16 : 12، 13).

كذلك يشير وينبه الطوباوي بولس الى ذلك عندما يقول : ((حنجرتهم قبر
مفتوح بالسنتهم قد مكروا، سم الأصلال تحت شفاهم وفمهم مملوء لعنة
ومرارة. أرجلهم سريعة الى سفك الدم في طرقهم اغتصاب وسحق وطريق
السلام لم يعرفوه، ليس خوف الله قدام عيونهم)) (رو 3 : 13 - 18).

خطورة الغيرة

9 عندما تُجرح الأعضاء بالسيف فإن الشر يكون أهون والخطر يصبح أقل،
وتسهل المعالجة عندما يكون الجرح ظاهراً. فعندما يؤتي بالعلاج يُشفى
الجرح الظاهر سريعاً، ولكن جراح الغيرة مخفية ومختبئة لا تقبل الشفاء،
حيث أن الغيرة دفيئة وكامنة في أعماق النفس المظلمة. فمن منكم كان حسوداً
أو خبيثاً فليُنظر كيف يكون مخادعاً ومؤذياً وكارهاً لمن يكرههم. فأنت لست
عدواً لخير الآخر بقدر ما أنت عدو لنفسك. فأيّاً كان الشخص الذي تضطهده
بالغيرة فهو قادر على الهرب منك وتجنبك ولكنك لا تستطيع أن تهرب من
نفسك، فأينما كنت يصاحبك خصمك، فالعدو دائماً في قلبك والدمار مغلق
داخلك وأنت مقيد ومربوط برباطات من السلاسل التي لا مفر منها، أنت
مأسور بالغيرة كسيد لك، فلا تعزية تخفف عنك. إنه شر مستمر أن تضطهد
شخصاً منع عليه من الله، إنها نكبة بلا علاج أن تكره شخصاً سعيداً.

الإتضاع سلاح ضد الغيرة

10 لذلك أيها الأخوة الأحباء فلقد نبه الرب عن هذا الخطر لئلا يقع أحداً في
فخ الموت نتيجة لغيرته من أخيه، فعندما سأله التلاميذ عن الأعظم بينهم قال :
((لأن الأصغر فيكم جميعاً هو يكون عظيماً)) (لو 9 : 48). وبجوابه هذا
قطع عليهم كل سبل الغيرة لأنه استأصل ومزق كل سبب وأساس للحسد.

فغير مسموح لتلميذ المسيح أن يكون غيورًا أو يكون حاسداً. فلا مجالاً للنزاع بيننا على مجد السلطة.... بل بالاتضاع نصل الى أعلى الدرجات، فقد تعلمنا كيف نصير مرضيين أمامه.

وأخيراً يرشدنا وينصحنا بولس الرسول أيضاً عن كيف يجب علينا نحن الذين استترنا بنور المسيح وقد هربنا من ظلمة أعمال الليل، أن نسير في أعمال النور، فيكتب ويقول : ((قد تناهى الليل وتقارب النهار فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور لنسلك بلباقة كما في النهار لا بالبطر والسكر، ولا بالمضاجع والعهر ولا بالخصام والحسد)) (رو 13 : 12 - 13) فإذا قد فارقت الغيوم قلبك واذ انقشع منها الليل واذ تلاشت الظلمة وأضاء بهاء النهار حواسك واذ بدأت أن تصير إنساناً للنور، فاعمل أعمال المسيح لأن المسيح هو النور والنهار.

نور المحبة وظلام الغيرة

11 لماذا تندفع نحو ظلمة الغيرة؟ لماذا تورط نفسك في سحابة الحسد؟! لماذا تتطفئ كل نور للسلام والمحبة بظلام الغيرة؟! لماذا تعود للشيطان الذي سبق وجدته؟! لماذا صرت مثل قايين اذ كان حاسداً لأخيه ويضمر له الكراهية فقد حسب كقاتل؟ فيوحنا الرسول يقول في رسالته معلناً : ((كل من يبغض أخاه فهو قاتل نفس أنتم تعلمون أن كل قاتل نفس ليس له حياة أبدية ثابتة فيه)) (1 يو 3 : 15) وأيضاً : ((من قال أنه في النور وهو يبغض أخاه فهو الى الآن في الظلمة، فمن يحب أخاه يثبت في النور وليس فيه عثرة وأما من يبغض أخاه فهو في الظلمة وفي الظلمة يسلك ولا يعلم أين يمضي لأن الظلمة أعمت عينيه)) (1 يو 2 : 9 - 11) فهو يقول أن من يبغض أخاه يسير في الظلمة ولا يعلم الى أين يذهب لأنه دون أن يدرك يتجه الى جهنم وبجهد و عدم بصيرة يزج بنفسه في العقاب، منسحباً من نور المسيح الذي يندرنا قائلاً : ((أنا هو نور العالم من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة)) (يوحنا 18 : 12).

ولكن، من يتبع المسيح هو الذي يحفظ وصاياه، يسلك في تعاليمه، يقتفي آثار أقدامه وطرقه ويتمثل بتعاليمه وأعماله. كما يحدثنا بذلك بطرس الرسول وينصحننا اذ يقول : ((لأنكم لهذا دعيتم فإن المسيح أيضاً تألم لأجلنا تاركاً لنا مثلاً لكي تتبعوا خطواته)) (1 بط 2 : 21).

البساطة والمحبة المسيحية

12 علينا أن نتذكر بما يدعو المسيح شعبه وما هو الاسم الذي يطلقه على قطيعه.. أنه يدعوهم ((خراف)) (راجع يو 10 : 12، 2 : 15). لأن البراءة المسيحية تقابل تلك التي للخراف، وهو يدعوهم هكذا لأن بساطة الفكر (المسيحي) تشبه طبيعة الخراف البسيطة. فلماذا يتوارى الذئب في ثياب الحمل؟ (راجع مت 7 : 15) لماذا يدعو نفسه باطلاً أنه مسيحي بينما هو يخزي قطيع المسيح؟ فبماذا اذاً ندعو من يضع اسم المسيح عليه دون أن يسير في طريق المسيح سوى أنه مجدف على الاسم الالهي وبعيد عن طريق الخلاص، حيث أن الرب نفسه يعلم ويقول أن من يحفظ الوصايا يحيا (راجع مت 19 : 17)، وأنه يدعى حكيماً من يسمع ومن يعمل بكلماته (راجع مت 7 : 24)، وأنه يدعى أعظم في ملكوت السموات من عمل وعلم (راجع مت 5 : 19). لأنه يتحقق نفع الواعظ الذي يعلم تعليماً صالحاً ومفيداً متى كان الذي يخرج من فمه يتحقق بالأعمال التي تتبعه.

وثرى بماذا أوصى الرب تلاميذه؟ وأي من مشورات المسيح الصالحة ووصاياه السماوية يجب أن تحفظ أكثر من أن نحب بعضنا بعضاً بالمحبة التي أحب بها هو وتلاميذه؟ (راجع يو 13 : 34، 15 : 12).

فكيف بالأكثر يستطيع أحدٌ أن يحفظ السلام ومحبة الله اذا كانت قد دخلت اليه الغيرة؟ هل يستطيع ذاك أن يكون مسالماً أو محباً؟

13 وأيضاً عندما أبرز القديس بولس الرسول فضائل السلام والمحبة وعندما جزم بشدة أنه لا نفع للإيمان أو للعطايا أو حتى للآلام المعترف أو الشهيد إلا

إذا حفظ الوصايا كاملة وتامة، وأضاف قائلاً : ((المحبة تتأني وترفق المحبة لا تحسد المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ)) (1 كور 13 : 4).

فهو يعلمنا ويظهر لنا، أنه من كان دوماً متأنياً ومترفقاً ومتحرراً من الغيرة والحسد يستطيع أن يقتني المحبة، وبالمثل في موضع آخر عندما كان ينصح الإنسان الذي امتلأ من الروح القدس وصار ابناً لله بالميلاد السماوي بالألا يتبع شيء سوى الأمور الروحية والالهية، فلقد كتب هذا التعليم حين قال : ((وأنا أيها الأخوة لم أستطع أن أكلمكم كروحيين بل كجسديين كأطفال في المسيح. سقيتكم لبناً لا طعاماً لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون بل الآن أيضاً لا تستطيعون، لأنكم بعد جسديين. فإنه اذ فيكم حسد وخصام وانشقاق أستم جسديين وتسلكون بحسب البشر)) (1 كو 3 : 1 - 3).

الإنسان المسيحي لا يعرف الحسد

14 أيها الأخوة الأعزاء، لا بد من سحق الرذائل والخطايا الجسدية وأن ندوس بقوة الروح بأرجلنا الوباء الذي يبئلى به الجسد الأرضي، وإلا عندما نعود لتصرفات الإنسان العتيق نتورط في الفخاخ المميتة. كما سبق فنبهنا الرسول لمنفعتنا بحكمة اذ قال : ((فإذاً أيها الأخوة نحن مديونون، ليس للجسد لنعيش حسب الجسد لأنه ان عشتم حسب الجسد فستموتون، ولكن ان كنتم بالروح تميون أعمال الجسد فستحيون لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله)) (رو 8 : 12 - 14).

فإن كنا أبناء الله، وان كنا قد بدأنا فعلاً لنكون هياكل له (راجع 1 كو 3 : 16، 2 كو 6 : 16)، وإن كنا نعيش بقداسة وروحانية بعد أن قبلنا الروح القدس وحولنا أعيننا من الأرض الى السماء وإن كنا قد رفعنا قلوبنا المملوءة بالله والمسيح كما يحثنا الرسول : ((ان كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله. اهتموا بما فوق لا بما على الأرض لأنكم قد مُتتم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله ومتى أظهر المسيح في حياتنا فحينئذ تظهرون أنتم أيضاً معه في المجد)) (كو 3 : 1 - 4). دعونا اذاً

نحن الذين متنا في المعمودية ودفنا بحسب الخطايا الجسدية التي للإنسان العتيق والذين قمنا مع المسيح في الميلاد السماوي الجديد، أن نهتم ونعمل بالمثل الأمور التي للمسيح كما يعلمنا وينصحننا الرسول مرة أخرى ويقول : ((الإنسان الأول من الأرض ترابي، والإنسان الثاني الرب من السماء كما لبسنا صورة الترابي سنلبس أيضاً صورة السماوي)) (1 كو 15 : 47 - 49). علاوة على ذلك فنحن لا نستطيع أن نحمل صورة السماوي إلا أن كنا على صورة المسيح ومثاله، وهي الحالة التي بدأنا أن نكون عليها الآن.

15 فذلك لكي تُغيّروا ما كنتم أنتم عليه وتبدأوا أن تصيروا ما لستم عليه، وحتى يشرق فيكم الميلاد الإلهي وتستجيبوا للتهذيب الإلهي الذي لله الأب، وحتى يتمجد الله في الإنسان من خلال حياته المكرمة والممدوحة.

كما يحدثنا ويحذرننا الله نفسه ويعد الذين يمجّدونه بدورهم قائلاً : ((فأني أكرم الذين يكرمونني والذين يحتقرونني يصغرون)) (1 صم 2 : 30). فالرب الذي يشكلنا ويعدنا لكي ما نتمجد، وابن الله الذي يغرس فينا صورة الله الأب يقول في إنجيله : ((سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك، وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم، أحسنوا الى مبغضيك وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات. فإنه يشرق شمس على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين)) (مت 5 : 42 - 45).

فإن كان من المجد والفخر للإنسان أن يكون أبناؤه مشابهين له، وأن يكون باقي الأبناء مشابهين لأبيهم، فكم بالأكثر يكون فرح الله الأب عندما يولد أبناؤه بالروح حتى أنهم من خلال أعمالهم وتسبيحهم يمجّدون الله! فكم يكون إكليل البر عظيماً والتاج المعد لكم عندما لا يقول الله عنكم : ((رببت بنيت ونشأتهم أما هم فعصوا على)) (إش 1 : 2) بل عندما يطوبكم ويدعوكم السيد المسيح للمكافأة بقوله : ((تعالوا إليّ يا مباركّي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم)) (مت 25 : 34).

أكاليل الانتصار

16 ان الفكر يا اخوتي الأحباء، يجب أن يتقوى بالتأمل ويجب أن يتحصن ضد سهام إبليس بمثل هذه التداريب الروحية. فلتكن القراءات الروحية باستمرار في أيادينا وذكر الله دائماً في حواسنا. والصلاة فلتكن بلا انقطاع ويجب أن نكون مهتمين بالأعمال الروحية حتى أنه كلما يدنو منا العدو ويحاول الاقتراب منا، يجد القلب مغلقاً ومسحاً ضده. لأن إكليل الانسان المسيحي ليس هو الإكليل الذي يناله في زمن الاضطهاد فقط. ولكن للسلام أيضاً إكليل، الذي به نُكَلَّل كمنتصرين في حروبنا المتنوعة. حينما ننتصر على الخصم ونطرحه. فالتغلب على الشهوة يقابله إكليل العفة، ومقاومة الغضب والعنف مكافأته إكليل الصبر، أما النصر على الجشع فهي نبتة المال، ومدح الإيمان هو في احتمال ضيقات هذا العالم والثقة في المستقبل. ومن لا يتعالى في رخائه (يتفاخر بغناه) ينال مجد الاتضاع. ومن يعطف ويصادق الفقراء ينال الغنى السماوي. ومن لا يحسد أحداً ويحب إخوته بلا رياء، يُكْرَم ويُكافأ بالمحبة والسلام. فنحن كل يوم نعدو في ميدان الفضائل لكي ما نصل الى أكاليل وتيجان البر بدون انقطاع.

نصائح علاجية لمن سقطوا في الغيرة والحسد

17 ولكي تستحقوا هذه الأكاليل، أنتم الذين امتلأتم بالغيرة والحسد عليكم أن تتركوا تماماً كل نية سيئة كانت فيكم قبلاً. ويجب أن تتغيروا الى طريق الحياة الأبدية مقتفين خطوات الخلاص. اقتلعوا من قلوبكم الأشواك والعوسج، حتى تأتي بذار الرب بثمر ووفير ولكي يأتي المحصول الإلهي والروحي بحصاد غني ووفير. اقطعوا تماماً سُم المرارة، وكذلك مرض النزاع، طهروا العقل الذي أُصيب بغيرة الحية. دعوا المرارة التي استقرت داخلكم تلين بعذوبة المسيح. إذ أخذتم من سر الصليب الطعام والشراب. فلتدعوا الخشبة التي أفادت (بني إسرائيل) وجعلت الماء عذباً في ((مارة)) تفيدكم أنتم بالحقيقة في شفاء قلوبكم المرتخية، وإن فعلتم هذا فلن تتعبوا في الحصول على علاج

لشفائكم، فابدؤوا في علاج أنفسكم من الموضع الذي تسبب في جرحكم. أحب من كنت تكرههم من قبل، أكرم أولئك الذين حسدتهم مقلداً من شأنهم بغير وجه حق، تشبّه بالصالحين ان كنت تستطيع أن تفعل مثلهم، وإن كنت لا تستطيع ذلك فابتهج بالحقيقة معهم في وحدانية المحبة، وشريكاً لهم في شركة الحب ورباط الأخوة. فسوف تُغفر ذنوبك حين تغفر أنت أيضاً للآخرين (راجع مر 11 : 25)، وسوف تُقبل تقدماتك حين تتقدم الى الله كصانع سلام (راجع مت 5 : 23)، وأفكارك وأعمالك سيقودها الله حين تفكر في الأمور الإلهية والحقة كما هو مكتوب ((ليتفكر قلب الإنسان في أمور حقه لكي ما تكون خطواته منقادة من الله)) (أم 16 : 1).

18 علاوة على ذلك فهناك أمور كثيرة يجب أن نتفكر فيها، تذكر الفردوس حيث لن يرجع قايين ثانية اذ قد قتل أخاه بسبب الغيرة، تذكر ملكوت السماوات الذي لن يسمح الرب بدخوله إلا لمن لهم قلب وفكر واحد، تذكر أن هؤلاء فقط يمكن أن يُدعوا أبناء الله : الذين هم صانعو سلام (مت 5 : 9)، الذين بواسطة الميلاد الالهي (المعمودية) وحفظ الوصايا أصبحوا واحداً، صائرين على مثال الله الأب والمسيح. تذكروا أننا تحت أنظار الله، وأنها نجتاز سلوكنا وحياتنا تحت قضاء الله. أننا نصل في النهاية الى إمكانية رؤيته، ان كنا نرضيه اذ هو يلاحظ أعمالنا، ان كنا نُظهر أنفسنا كمستحقين لنعتمه وغفرانه ان أرضيناه أولاً في هذا العالم، وبالتالي سنكون في رضاه الى الأبد في السماء.